

مقولة

« جسم لا كالأجسام »

بين

موقف هشام بن الحكم ومواقف سائر أهل الكلام

السيد محمد رضا الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام التامين على سيد الانبياء والمرسلين ، محمد الصادق الامين ،
الصادق بالوحي المبين ، وعلى خلفائى الائمة المعصومين ، الامناء على الدنيا والدين .

ويعد :

فقد تعرض للحق - المتمثل فى الاسلام ، منذ نشأته ، والناس حديثو عهد باصوله - أعداء ألداء تحينوا كل
فرصة للكيد له ، والنيل منه .
لكنهم أخفقوا ، ولم ينالوا مناهم ، فلم يصمدوا لصلابته ، فباءوا بالفشل ، وأنهمزوا خاسرين .
ولما أعيتهم أساليب القمع والفتك ، لجأوا إلى الاتهام ، وكيل الافك . وتزوير الباطل ، وتحريف الحقيقة ،
بهدف تشويه وجه الحق ، وتعكير صفائه ، وإطفاء نوره ، وبهائه .
لكن لم تنطل أكاذيبهم على أهل الحق وطالبه ، ولم تحجب شبهاتهم ساطع ضوئه ، وصادق برهانه ، فخابوا ،
وانقلبوا خاسئين .
ولما يئس الاعداء الحاقدون من المساس باصول الدين واسس عقائده ،

ص: ٨

عمدوا إلى أعمدته وقواعده ، وهم رجاله ومناصروه ، فخاضوا فيهم قتلا وإبادة ، حتى استنفدوا أساليب الغيلة
والغدر فاعجزتهم عن إخضاع أولئك الاساطين ، فلجأوا إلى اسلوب بث الدعاية ، وكيل التهم ، لتشويه سمعة
أبطال الاسلام وصناديده ، وهدفهم أن يجعلوا الاسلام غريبا لا ناصر له .
فملاوا الدنيا بما لاكتنه السنة السوء من الباطل ، وما لفظته أبواق الزور من البهتان الزائل .
وقد فشلوا أمام وعد الله ببقاء جذوة الحق وقادة ، حيث قال : (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله
إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) [سورة التوبة (٩) الآية (٣٢)] وقال : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [
سورة الحجر (١٥) الآية (٩)] .

ولما يئسوا من أن يصيبوا الحق وأعلامه بسوء ، انكفأوا على الباطل ، وانضوا إلى المنافقين بتكديس المدائح
المفتعلة لهم ، ووضع الفضائل واختلاقها فيهم ، وترويج باطلهم ، وتحسين قبائحهم ، والستر على فضائحهم ،
والتطويل لهم ، والتزمير للخطيئة ، سعيًا فى ضرب الحق ، وإخفاء شعاعه ، وإظهار الباطل ، ودجله ، وخداعه .

أخرج ابن الجوزي ، عن طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال . سألت أبي : ما تقول في علي ومعاوية ؟ فأطرق ، ثم قال أعلم أن عليا كان كثير الأعداء ، ففتش أعداؤه له عيبا فلم يجدوا ، فعمدوا إلى ر جل حاربه فأطروه ، كيدا منهم لعلي .
فأشار بذلك إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له (١) .
وقال ابن قتيبة : أهملوا من ذكره [يعني الامام عليا عليه السلام] أو روى حديثا من فضائله ، حتى تحامى كثير من المحدثين أن يتحدثوا بها ، وعنوا بجمع فضائل

(١) ذكر ابن حجر في فتح الباري ٨٣/٧ . وذكره الهيثمي في الصواعق المحرقة : ٧٦ قال . أخرج السلفي في « الطيوريات » .

ص: ٩

عمرو بن العاص ومعاوية ، كأنهم لا يريدوهم بذلك وإنما يريدونه (٢) .
وابتلى الحق - ثانية ، وهو متمثل في التشيع باولئك الأعداء ، مقنعين باسم السلف والسنة ، حيث تصدوا له بالمنابذة والمعارضة ، فواجهتهم أدلته القاطعة وحججه الصارمه الناصعة .
ولما تعرضوا لائمة الحق من آل محمد ، خلفاء الرسو ل من عترته الطاهرة ، أعجزتهم قوة اولئك السادة العلماء بالحق ، وصلابة اولئك الاوتاد العرفاء بالله ، وإخلاصهم في التفاني من أجله ، بما لم يشتمهم عن ذلك ، حتى الاغتيال والقتل الذريع ، والسجن والهتك الفظيع ، بل ظلوا صامدين ، مصرين على قول الحق وفعل الصدق ، رغم كل أساليب العدوان وأقاويل البهتان التي استعملها الأعداء ضدهم .

ولقد اضطر أعداء الحق للخضوع أمام عظمتهم ، والاعتراف لم بكل كرامة :
يقول ابن حجر الهيثمي - وهو يتحدث عن (حديث الثقلين) المحتوى على قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن وأهل البيت - : « لا تقدموهم فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم » (٣) .

قال : في قوله صلى الله عليه وآله وسلم دليل على أن من تأهل منهم للمراتب العلية والوظائف الدينية كان مقدما على غيره (٤) .

ويقول الذهبي - في ترجمة الامام الثاني عشر محمد بن الحسن عليه السلام - : محمد ، هذا ، هو الذي يزعمون أنه « الخلف الحجة » وأنه « صاحب الزمان » وأنه حي لا يموت حتى يخرج ، فيملا الارض عدلا وقسطا ، كما ملئت ظلما وجورا . [قال الذهبي :] فوددنا ذلك - والله - !

(٢) الاختلاف في اللفظ : ٤٨ .

(٣) انظر : مصادر حديث الثقلين ، بألفاظه المختلفة في مقال « أهل البيت في المكتبة العربية » المنشور في مجلة (تراثنا) العدد (١٥) السنة الرابعة ، ١٤٠٩|ص ٨٤ .

(٤) الصواعق المحرقة لابن حجر : ١٣٦ .

ص: ١٠

فمولانا على من الخلفاء الراشدين ! . . . نحبه أشد الحب !
وابناه الحسن والحسين ، فسبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيدا شباب أهل الجنة ، لو استخلفا
لكانا أهلا لذلك ! ؟
وزين العابدين كبير القدر ، من سادة العلماء العاملين ، يصلح للامامة !
وكذلك ابنه أبو جعفر الباقر سيد ، إمام ، فقيه ، يصلح للخلافة !
وكذا ولده جعفر الصادق كبير الشأن ، من أئمة العلم ، كان أولى بالامر من أبي جعفر المنصور .
وكان ولده موسى كبير القدر ، جيد العلم أولى بالخلافة من هارون . . . (٥).
ولئن اضطرهم الامر للاعتراف - هكذا - بالحق . والحق مر على أذواق غير أهله ، فبدلا من أن يبحثوا عن
الطرق التي توصلهم إلى هؤلاء الأئمة السادة القادة ، قراء الكتاب ، وامناء الشرع ، فبدلا من ذلك ائثالوا على كل
ما يمت إليهم بصلة ، فانهمكوا بإنكاره وتكذيبه ، وعلى أصحابهم وأوليائهم فتعقبوهم بالمطاردة والتنكيل والتهديد
، وعلى رواة حديثهم فرموهم بالقدرح والتجريح .
فلم ييخلوا - لا در درهم - بتهمة أن يلصقوها بكبار شيعة أهل البيت ، اولئك الذين وضعوا ثقتهم عند هؤلاء
الائمة عليهم السلام ، وانصاعوا للحق المتمثل في آرائهم .
ونظرة عجلية ، في الميزان للذهبي واللسان لابن حجر ، تكشف أبعادا من التجاوز الذي جاء على أتباع أئمة
أهل البيت عليهم السلام ، في هذه المجالات !
ولقد استهدفوا من ذلك نفس الهدف الذي كان لاعداء الحق المتمثل في الاسلام - أولا - وبنفس الاساليب
التي انتهجها اولئك ، يحاولون إخلاء ساحة الحق من أنصاره الصادقين ، وتشويه ناصع الحق بالصاق كل تهمة ،
وتلطيخ سمعة أهله بأية صورة ، ظلما ، وعدوانا ، وزورا ، وبهتاناً .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٣/١١٩ - ١٢١ ، وانظر : كلمه حول الرؤيه - شرف الدين - : ٢٢ .

فهذا « هاشم بن الحكم » الذى التزم بهدى أهل البيت عليهم السلام وهو « شاب » (٦) « أول ما اختطت لحيته » (٧) و« غلام ، أول ما اختط عارضا » (٨) ، فتمسك بالحق الذى هم عليه ، واستضاء بنور علومهم ، وكان من أنصار الاسلام ، وحمل مشعل الحق فى ذلك العصر المظلم ، المدلهم ، الموبوء بالتيارات الالحادية ، والآراء المستجدة على ساحة الفكر والعقيدة ، فكان - لما يتمتع به من نبوغ فائق ، وعقلية مقتدرة - نبراسا منيرا ، يتهاافت حوالبه شغب المشككين فى الاسلام القويم ، وتندحر به شبه المنحرفين عن صراط أهل الب ية عليهم السلام المستقيم .

ولعظمة هشام ، وسمو مقامه فى الحق ، وعمق أثره فى دحر الباطل ، وقف أعداء أهل البيت منه موقفا عدائيا صارخا ، وسعوا لتشويه سمعته ، وإبعاده عن الساحة ، وإفقاد جبهة الحق لمثل هذا العنصر النصير ، لما له من دور فى الذب عن حياضه ، و رد كيد المبطلين إلى نحورهم ، لما يتمتع به من قوة على المناظرة وتفنيد شبهات المنحرفين ، والاعتراض على باطلهم بما يعجزون عن مقاومته ، ويوقفهم على صراح الحق بحيث يكلون عن تجاوزه وتخطيه .

ولقد أفرطوا فى كيل التهم ، بأشكال مختلفة ، وفى مجالات عديدة ، لهذا الرجل العظيم .
وركزوا - بالخصوص - على اتهامه فى « التوحيد » باعتقاد التجسيم للبارئ تعالى شأنه ، فصوروا منه « رأسا » فى هذا المعتقد الباطل ، ونسبوا إليه خرافات تأباها عقول المبتدئين فى العلم ، فضلا عن مثل هشام الذى « كان حاذقا فى صناعة الكلام » و« فتق الكلام فى الامامة ، وهذب المذهب بالنظر » (٩) و« له غور فى الاصول »

(٦) الاحتجاج على اهل اللباج : ٣٦٧ وانظر : اختيار معرفة الرجال : ٢٧١ .

(٧) الاحتجاج على أهل اللجاج : ٣٦٥ .

(٨) الفصول المختارة : ٢٨ ، وانظر : معالم العلماء - لابن شهر آشوب - : ١٢٨ .

(٩) الفهرست - للنديم - : ٢٢٣ .

و« لا يغفل عن إزماته » (١٠) .

مع ما يظهر على تلك التهم من التناقض الواضح ، والتهاافت المفضوح !
ومحور ما نقلوه عنه فى هذه التهمة أنه كان يقول : إن البارئ تعالى شأنه « جسم لا كالأجسام » .
ومع أن هذه المقولة لا تدل على ما يرومون إلصاقه بهشام من الاعتقاد بالتجسيم ، فإن أكثرهم اعتمد ما قاله الخصوم فى نقلهم عن هشام ، واستند إلى تلك التهم فى ترويج الدعايات المضللة ضد هذا العالم العظيم .

والعجب أن نجد في المتطاولين على هشام كثيرا من المنتسبين إلى السلف والمنتمين إلى السنة ، ممن يذهب إلى إثبات الاعضاء للبارئ جل شأنه ، بعنوان أن الاعضاء « صفات خبرية » له تعالى ، مع التزامهم بإمكان رؤيته ، ومع ذلك يلهثون ، ليخدشوا كرامة هشام بهذه التهمة !
ولا يقنع الاعداء باتهام هشام ، حتى اختلقوا مذهبا وهميا باسم « الهشامية » نسبوه إليه ، وذكروا فيه كل خرافة ، وكفر ، وتناقض ، وباطل !
والاغرب أن تعويلهم في جميع ما تناقلوه ، على ما ذكره خصوم هشام فيه ، وكل واحد منهم يقصع بجرة سابقة ، حتى تكاثروا ، وألهاهم التكاثر عن رؤية الحق ودرك الحقيقة (١١) .
ورأيت بعض الكتاب من المعاصرين قد استسلم لتلك الشائعات ، منصاعا لما استهدفته تلك التهم من الاغراض الفاسدة ، فنقل ما لفقوه أولئك السابقون من الاكاذيب ، وعنون لفرقة باسم « الهشامية » في فرق الشيعة .

(١٠) الملل والنحل - للشهرستاني | ١٨٥ .
(١١) إقرأ عن هذا التكاثر ، ما كتبه الأستاذ القدير المحامي توفيق الفكيكي رحمه الله في مقال « مع الدكتور كمال . . . »
في مجله « الايمان » النجفيه ، العدد ٥ - ٦ ، السنة الاولى ، ص ٨ - ٣٩٩ .
وفي العزم أن نكتب عما جناه مؤلفو كتب المقالات والفرق في شأن هشام ، وتفنيد مزاعمهم المفترأة عليه ، وفقنا الله لانجازه ، إنه هو الموفق للخير والمعين عليه .

ص: ١٣

غافلا عن أن مصادرنا - على الاطلاق - خالية عن ذكر فرقة بهذا الاسم ! والخصوم والاعداء - على رغم تكاثرهم - لم يعتمدوا فيما نسبوه إلى هشام من آراء وعقائد ، وأفكار ، وأدلة ، وشواهد ، وحجج ، على مصدر شيعي أبدا ، ولو على واحد !
ولقد حز في نفسي كل هذا الحيف ! فصممت على كتابة هذا البحث ، لعل اسهم به في إسفار الحقيقة عن وجهها ، أو أنفض عنه غبار الزمان ، وعجاج العدوان .
والله المستعان .

وكتب

السيد محمد رضا الحسيني

الجلالي

في ٢٠ جمادى الثانية / ١٤١٠ هـ

